



مدرسة
التاريخيات
بصفاقس

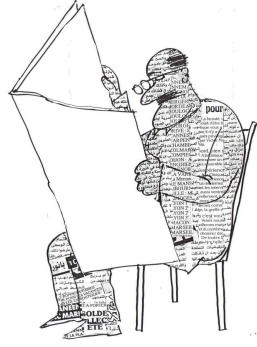


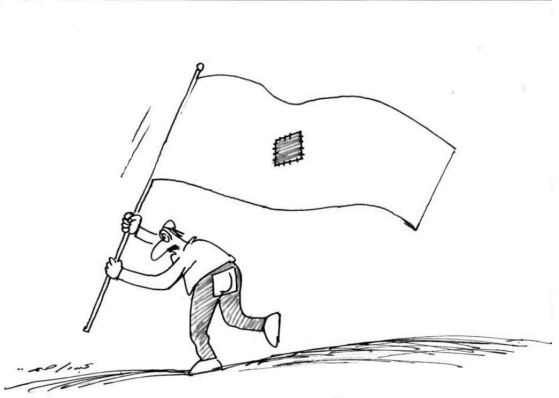
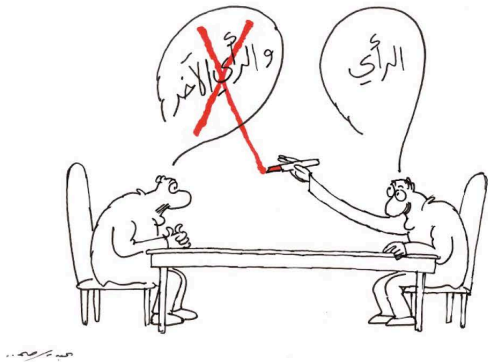
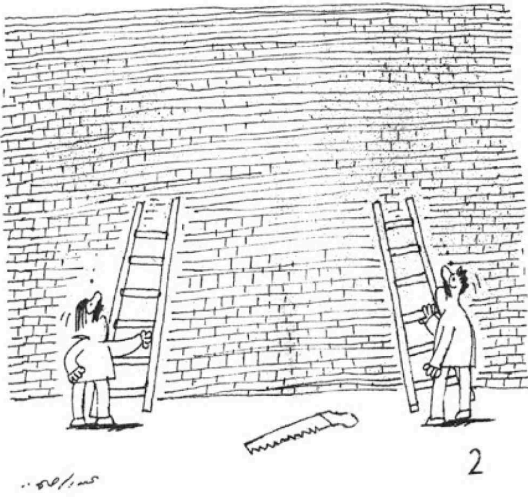
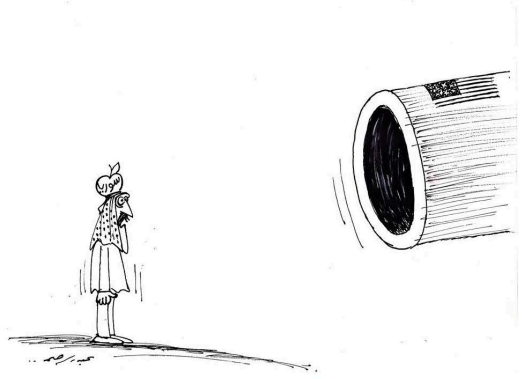
الغنان العراقي عبد الرحيم ياسر
في مدرسة التاريخيات

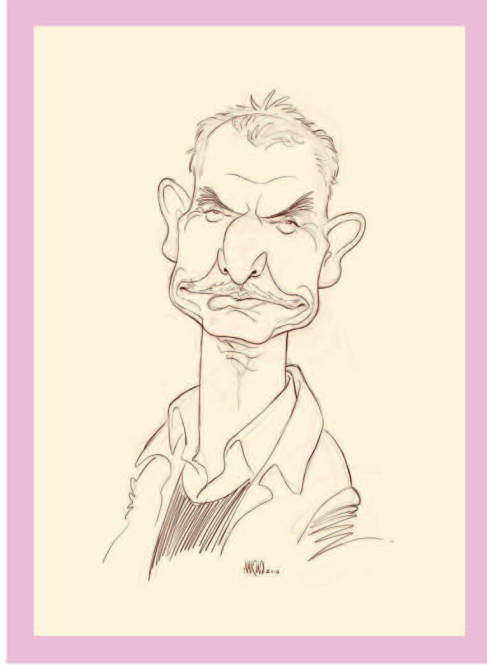


صفاقس - الجمهورية التونسية
2018

جلال الربيعي







بورتريه الرسام عبد الرحيم ياسر
رسمه الفنان العراقي « أمير تقي عجام »

المقدمة



الفنان عبد الرحيم ياسر يتحدث عن تجربة مدرسة الكاريكاتير:

زرت تونس من قبل وأرى أنها تستحق أن تزار أكثر من مرة ففيها الكثير من الأشياء والتفاصيل الممتعة لكنني في زيارتي الأخيرة وأنا أعرج إلى مدينة صفاقس لأول مرة. وأتقي بالقائمين على مدرسة الكاريكاتير فيها ومن ثم نوادي الكاريكاتير من البنين والبنات في عقارب والعامرة وحي المعز تلمست على وجه اليقين أن هذا المكان يصلح أيضا للتعلّم والعمل والأمل ولأنني كنت ومنذ زمن بعيد قريبا جدا في العمل مع المراحل العمرية المبكرة صرت ممن يعولون كثيرا عليهم في إحداث التغيير وصناعة المستقبل لذا سعدت كثيرا أن أرى أن هنا في هذا المكان في صفاقس من استطاع أن يسبق الآخرين ويستثمر وينجح وعندما التقيت بالتلاميذ في هذه النوادي وشاهدت رسومهم وحاورتهم تأكّدت من ذلك. إن تدريب جيل من رسامي الكاريكاتير وابتكار السبل للمساعدة على التعلّم والتفكير والحوار والاقتراح واجتراح الحلول والانخراط في القضايا السياسيّة والمجتمعية هو استثمار في مستقبل بلداننا وهو زيادة لم يسبقكم إليها في هذا النوع أحد على الأقل ضمن هذه المنطقة .

أعزائي اقدر لكم كل الجهد الذي قمتم به والذي ستقومون به وأعرف أن هناك الكثير من الأفكار والطموحات التي تعملون عليها مستقبلا من أجل تطوير هذه التجربة.

كما ان استقبالكم للعديد من الخبراء والمبدعين في هذا المجال مناسبة لإغناء هذه التجربة الرائدة لتكون ملهمة للآخرين ولنا جميعا للتعلّم والعمل .

عبد الرحيم ياسر
مدير المدرسة

«الضحك منا سفاهة»¹

I. قبل البدء

قدم إلينا الفنان عبد الرحيم ياسر، إلى "مدرسة الكاريكاتير بصفاقس"² مشاركاً بإبداعاته الكاريكاتورية، ومساهمياً في ورشات نوادي الكاريكاتير، تكويناً وتطهيراً لشباب متعطشين لهذا الفن، ولكلّ فعل ثقافيّ جاد. هذه المدرسة الكاريكاتيرية، والجامعة للعديد من الخبرات، تواصل نشاطها المثمر لـ 10 أشهر (من 2017/10/06 إلى 2018/07/30)، خاصة مع شباب المناطق الشّعبية والريفية بمدينة صفاقس³، سعياً منها إلى تكوينهم واكتشاف المتميزين منهم موهبةً، ودفعاً لهم لمزيد الإبداع والإيمان بقدراتهم الذاتية، لأنّ مجتمعاً من غير فنون لا يكون، وحادثة من غير إبداع حمق وجنون. وسعياً منهم أيضاً إلى أن يتمكن هؤلاء الشّباب من أدوات تعبير - لا تحتاج إلى الكثير من الإمكانيات المادية - لنقد الواقع بطرائق ضاحكة وساخرة وواعية، وللتعبير عن رؤاهم وأفكارهم وما يختلج بأذهانهم بسمت مختلف عن التعبير اللغوي المعتاد. ففرى من خلال هؤلاء المبدعين المنشودين ما لا تراه العيون العادية. ويمكن عند ذلك، لمدرسة الكاريكاتير بصفاقس أن تُسعد هؤلاء الشّبان على التعريف برسومهم، ثم مساعدتهم على نشرها. فنبعث فيهم الأمل بحياة أفضل وأن يكون مؤطّروهم أنموذجاً يُحتذى في النّجاح، مثل مجموع الفنانين والأساتذة الذين قدّموا دروساً نظرية وتطبيقية في هذا المجال الفنيّ⁴.

وليس غريباً على عبد الرحيم ياسر أن يهتم بالشّباب وهو الذي عايش الأطفال حين كان موظّفاً ومبدعاً في دار ثقافة الأطفال ببغداد لـ 44 عاماً. ورسم العديد من الكتب الموجّهة للنّشء داخل جمهورية العراق وخارجها، وهو توجّه تربوي تعليمي لا يُنكر. إذ يعتقد هذا الفنّان أنّ الطّفل منذ بداية حياته واكتشافه العالم من حوله يمكن أن يكون فنّ الرّسم وسيلة من وسائل تربيته الفضلى .

1 - يقول أبو العلاء المعريّ في لزوم ما لا يلزم، المجلد 2، دار صادر (د. ت)، ص: 216.

2 - ضحكنا، وكان الضحك منا سفاهة، * وحقيّ لهُنّك البسيطة أن يبكوا يُحفظنا ربُّهُ الزمان، كالنّاس * زجاج، ولكن لا يُعاد له سبّك. www.ecole-caricature.com

3 - مثل "حيّ المعز" بمعتمدية طينة، ومعتمدية "العامرة"، ومعتمدية "عقارب".

4 - هؤلاء الفنّانون والمحاضرون هم: الشاذلي بلخامسة، وتوفيق عمران، وعبد الرزاق كمون، وأنيس المحرسي، وروؤف الكزاي، معز شليق من تونس. سمير عبد الغنيّ من مصر. وعبد الرحيم ياسر من العراق. علي فرزات من سوريا وناجي بن ناجي من المغرب. عماد حجاج من الأردن...

5 - للفنّ عموماً وللرّسم بالأخص أبعاد تربوية نظر لها أرسطو ضمن كتابه في السياسة. انظر: الباب الثامن بعنوان "التربية في الدولة الفضلى"، من ص: 419، ص: 446. تعريب الأب أوغسطين برباره البولسي، الطبعة الثّانية، اللّجنة اللبنانيّة لترجمة الرّواضع، 1980.





إنَّ المرحلة التي يسمِّيها عبد الرَّحِيم ياسر «ما قبل المدرك الشَّكلي»، هي مرحلة مهمة في تربية الطِّفل بل هي مهمة في تكوين شخصيَّة، والرَّسْم وسيلة فاعلة في هذه التَّنشئة. يرى هذا الطِّفل أناساً من حوله في العائلة فيرسم مثلاً أمه أو أباه في حجم أكبر، وهو ما يدلُّ على إدراكه للاختلافات الماثلة أمام عينيه، إنَّه يرسم الأفكار (كبير الحجم، صغير الحجم...)، وإذا رسم منزله فهو يفكِّر في الفضاء الداخلي والخارجي والمفتوح والمنغلق... إذن هو يرسم الأفكار.

ثمَّ في مرحلة متقدِّمة من العمر يعتقد عبد الرَّحِيم ياسر أنَّ الإنسان يمكن أن يصبح رساماً مبدعاً بشروط منها: - أن يكون محباً للرَّسْم شغوفاً به. ومثل هذه المحبة هي التي تجعل الإنسان يهتم بالرَّسوم في كلِّ وقت وحين. وأن يجعل منها شاغلاً من شواغل حياته اليوميَّة حتَّى يصبح الرَّسْم جزءاً منها.

- أن يشاهد رسوماً كثيرة ومتنوعة يتأمَّلها وبعيد النَّظر فيها. وهو ما يعبرُ عنه حازم القرطاجني «بالقوَّة الحافظة».

- أن يؤمن بأنَّ الرَّسْم أداة للخطاب والتَّواصل به يبلِّغ الفرد أفكاره في مجالات شتى.

- أن يرسم كثيراً، وألاً يبحث عن الكمال في ما يرسم. ولكن عليه أن يتعلَّم من أخطائه. لأنَّ تصحيح الأخطاء يدلُّ على إدراك ووعي وإيمان بالتطوُّر وبنسبية الحقائق.

- أن يكون من أصحاب التَّحفاة العميقة لأنَّ الأفكار المزمع رسمها تتغذى وتتعمَّق، وتصبح مقنعة أكثر كلما كان الرَّسام طليعةً.

إنَّ مثل هذه النَّصائح التي أقرَّها عبد الرَّحِيم ياسر في ورشات العمل مع الشَّبَّان لا تعني البتَّة أنَّه يفرض على هؤلاء أفكاره، لأنَّه من المؤمنين بالحرية، حرية الأفكار التي يختارها الشاب ويطمح إلى التَّعبير عنها رسماً.

ولعلَّ مسيرته الفنيَّة منذ بدايات رحلته مع الرَّسْم في بغداد، كانت وراء هذه النَّصائح إذ هو كما يقول بدأ الرَّسْم منذ الصَّغر.

6 - في بعض الأحيان لم أثبت مصدرًا ورفيقاً أو رفيقاً لأقوال الفنَّان عبد الرَّحيم ياسر والسبب أنني أخذت الشَّاهد عنه مباشرة بالمشافهة، في الحوارات واللقاءات التي شاركت فيها الحضور ضمن أنشطة مدرسة الكاريكاتير بصفاقس.

7 - ليكون المبدع مبدعاً حسب حازم القرطاجني لا بد أن تتوفر فيه ثلاث قوى هي «قوَّة حافظه وقوَّة مائزة وقوَّة صانعة». راجع: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة سنة 1986. ص: 42.



ثم أصبح مهتماً بالرّسوم ومعجباً بمجلة "المتفرّج" وكان في المرحلة الوسطى من الدّراسة (ما يقابل المرحلة الإعدادية في تونس) قد بعث رسماً إلى هذه المجلة فجعلت منه غلاف المجلة، وكما كان ذلك دافعاً له للمواصلّة والمثابرة. ثمّ بعد ذلك، قرّر أن يتعلّم الرّسم، عندها شاهد الكثير من الكتب والمجلّات كانت تصل العراق من بريطانيا وبلجيكا وبولونيا وغيرها من بلدان العالم، وكانت تحمل تجارب مهمّة تعلّم منها عبد الرّحيم ياسر وزملاؤه الكثير.

إنّنا إذا أردنا التّغيير فلن يتحقّق ذلك إلاّ بالثقافة، والفنّ رافد من روافدها. ولن يكون إلاّ بالأطفال والشباب، وهم قاعدة كلّ تغيير. أمّا الشيوخ الهرمة فإنّ فطامهم عن عاداتهم وخرافاتهم أمر ميسّر منه يأس الكفّار من أصحاب القبور.



لقد تكبّد الفنان عبد الرّحيم مشقة التنقّل بين ورشات الرّسوم الكاريكاتورية في بعض دُور الشّباب بصفاقس، وأخذ بيد هؤلاء الشبان توجيهياً وتطهيراً وتكويناً في حصّتين صباحية ومساءلية. فكنت ترى في هذه الورشات ما يتلج الصدر، لا في ما يبده هؤلاء الشّباب فقط بل في تلك المنابر الحوارية التي تساهم مساهمة فعالة في اكتشاف الآخر وتوليد الأفكار. وليس من المبالغة في شيء إذا أعلنت أنّ هذه الورشات هي مدرسة من مدارس المشائين، ترفض القوانين الصّارمة والدروس المنمّطة. هي الحرية في مسؤولة، وهي السّؤال في حيرة، وهي العقل في تحاور. إنّ هذه العقول الشّابة في حوار أفقي تارة مع الفنان المؤطّر والمكون. وطوراً في حوار داخلي مع بعضهم بعضاً. تلك هي الثقافة في أروع تجلياتها وكما حدّدها الجاحظ في الرّسائل، هي «عقل غيرك تزيده إلى عقلك». مدرسة الكاريكاتير بصفاقس هي مدرسة الانفتاح والبهجة، لا الانغلاق والتعصّب.



مدرسة الحرية والإبداع لا حوائث الطاعة والاجترار. ومن مزايا هذه المدرسة أيضاً أنّها تُثمن أعمال هؤلاء الشّباب وتأخذ بهم لمواصلّة طريق الإبداع، بل لمواصلّة نحت الكيان حتّى يكونوا هم، وليس نسخة لغيرهم في تقليد أعمى مقيت. وحتّى يحقّقوا كينونتهم وقد توازنت عقلاً وأخلاقاً وجسداً وتخيلاً... يكونون هم مؤثّرين في محيطهم القريب والبعيد، وتنتشر التجربة في دور الشّباب من شمال البلاد إلى جنوبها ومن ثمت تفتح على الآخر خارج حدود الوطن.



إنّ هذه الأهداف التربوية التي نذكرها ليست بالجديدة على الفكر الإنساني، وليس من العسف أن نربطها بالفلسفة، لأنّ الذين لا يقرّون بدور الفنّون في تربية الأطفال وفي تربية المجتمعات مازالوا يعيشون في فترة ما قبل الحضارة، ولم ينظروا إلى ما قدّمته الحضارات الإنسانيّة في قيمة الفنّون.

*الجاحظ، الرّسائل، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل بيروت، الطّبعة الأولى 1991، المجلّد 01، الجزء 01، ص 96.



ويكفي أن نذكر بما قاله أحد معلّمي الإنسانيّة وهو "أرسطو" في هذا المجال. لقد وصف هذا الفيلسوف فنّ الرّسم أنّه «من المعارف الحرّة»، وقيمة الحرّية لا تُنكر وإلا أصبح الفنّ خضوعاً. بل إنه يعتقد أنّ مثل هذا الفنّ لا يمارسه إلا أولئك أصحاب النفوس الحرّة، إنّه «خليق بالأحرار»، لأنّه فنّ «حرّ وجميل».

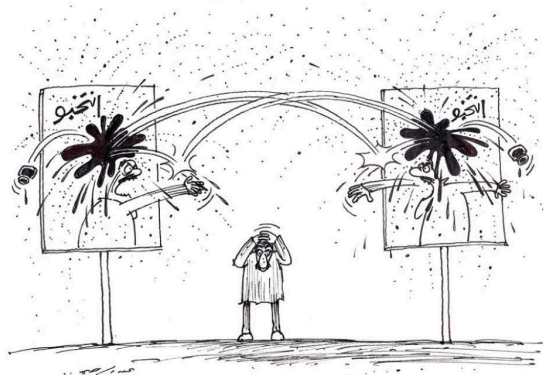
أمّا نفعه -عند أرسطو- في الحياة فمتعدّد الأوجه، منها أنّه يزيد المرء الممارس له «تفهماً للجمال» أي يغذّي فيه ملكة الإدراك لتذوّق الجمال من حوله. ومنها أنّه يدخل الإنسان إلى عالم البهجة والسُرور، والأخلاق الفاضلة التي تعودّه «على التمكنّ من الانصراف إلى السُرور». ذاك هو الرّسم الذي قال به أرسطو منذ آلاف السنين مبيّناً قيمته في تهذيب النّفس وتطهيرها. وللأسف مازال بعضهم يعادي الرّسم والفنون جميعاً وهي التي تدعوننا كما بينّ أرسطو إلى الحرّية مبدأً، وإلى الجمال منظراً، وإلى التفهّم تحاوراً، وإلى الأخلاق سلوكاً.

II. «تشير الأصبع إلى القمر فينظر الأحمق إلى الأصبع»

1. المؤثرات

تَمّت اتّفاق اليوم على أنّ الصّورة تخترق حياتنا. وهي أداة التّواصل بامتياز. بل لعلّ تواصلنا في البدء والمنتهى يتّاج صوّر. ولسنا نهتمّ بالصّورة في هذه الأسطر إلاّ بالرّسم الكاريكاتوري المعاصر، وستنخدّ له أنموذجاً: فنّان الكاريكاتير العراقي عبد الرّحيم ياسر⁹.

نشأ هذا الفنّ في نهاية القرن السّادس عشر (XVI^e) بشمال إيطاليا بمنطقة بولونيو (Bologne) في مدرسة فنيّة أسّستها عائلة رسّامين، هي عائلة الأخوة كاراش (Carrache)¹⁰. كان الأخوة في هذه العائلة يمرحون ويتسلّون برسم زائري عائلتهم بطريقة مضحكة على هيئة بعض الحيوانات. غير أنّ الإضحاك ليس السّمة الوحيدة في الرّسم الكاريكاتوري إذ يبنّي هذا التّوع من الرّسم أيضاً على السّخرية والتّهكّم من رجالات السّياسة ومن شيوخ الدّين، وغيرهم من الوجوه الاجتماعيّة، بأن يُخرجهم الرّسم الكاريكاتوري في هيئة مَحوّلة: تضخيماً لأجسادهم، أو تضخيماً لبعض ملامحهم الخلقية والخلقية. هذه "الخلائق" السّياسة، وهؤلاء "الأرهاب" الدّينية في العالم العربي المعاصر مادةً ثريّة للرّسّامين الكاريكاتوريين من أجل إبلاغ رسائلهم السّاخرة والضّاحكة، والأهمّ النّاقدة. فالرّسم الكاريكاتوري إذن يجمع الإضحاك والسّخرية ستمّاً، إلى النّد الأذع رسالةً.



8 - أرسطو، في السّياسة، انظر على التّوالي الصّفحات: 426 - 430 - 422 - 9 - مثل عربي قديم.

10 - وُلد عبد الرّحيم ياسر بالقادسيّة في العراق سنة 1951 تحصّل على تكوين أكاديميّ ببلده. وبدأ في ممارسة الرّسم ضمن نشراتٍ موجهة إلى الأطفال مثل مجلتيّ: "مجلتي"، و"المزمار".

11 - هنرييل كاراش، (Annibal Carrache (1609 / 1560) هو أهمّ عضو في هذه العائلة الفنّية. وأخوه أوغسطين (Augustin (1602 / 1557) وابن عمّه لودفيك (Ludovic (1619 / 1555)، وابنه أنطوان (Antoine (1618 / 1583).

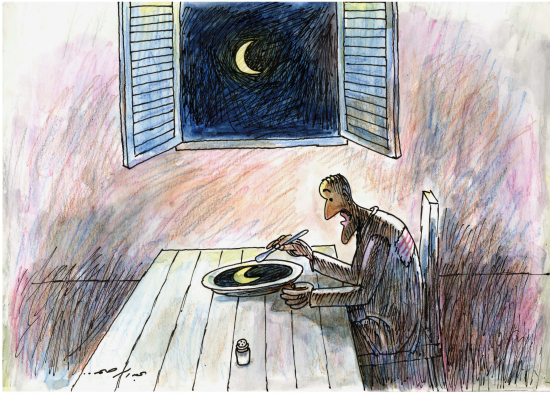
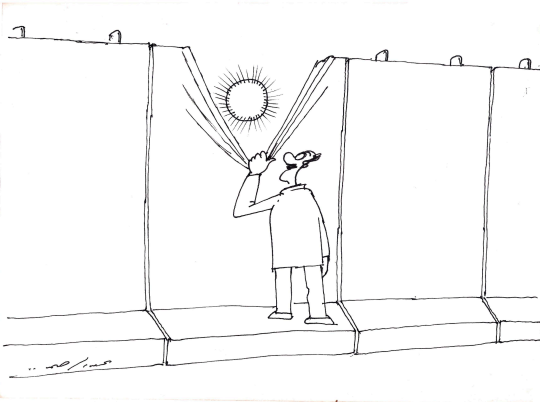
لم يعرف العرب الرّسم الكاريكاتوري -على نطاق واسع- إلا بظهور الصّحافة الورقية. أمّا في ما يخصّ العراق فبدأ تداول مثل هذه الرّسوم منذ بداية الثّلاثينات من القرن العشرين في صحف سيّارة مثل "أبو نواس"، و"كشكول"، و"العنديل"، و"النّديم"، و"المتفرّج"، و"الفكاهة"، ومن أشهر أعلام الكاريكاتور عبد الجبّار محمود، وحמיד المحل، وغازي البغدادي، وسعاد سليم، وعلي المندلوي، ورائد الرّاوي، وبسام فرج، وخضير الحميري، وهناك مال الله، وعمّار سلمان، وعبد الحسين محمود، ونديم محسن، ومنصور البكري، ثمّ مؤيّد نعمة صديق عبد الرّحيم ياسر وكلاهما من أشهر رسّامي الكاريكاتير في العراق المعاصر.

لقد قدّم إلينا عبد الرّحيم ياسر من العراق الحبيب، مليئاً بهموم العصر العربي، وهو "عصرٌ" يشتدّ علينا يوماً بعد يوم فيؤلمنا، حتّى كأنّ سائلاً لجزاً يخرج من هذا العربيّ الذي كلّما ازداد "عصره" ارتاح، فلا شكوى ولا نصّب! لكنّ دوام الحال من المحال، وبدأت رياح الزّلازل تهزّ هذه البلاد طويلاً وعرضاً، ولم تحدّثْ هذه الزّلازلُ بعدُ بأخبارها. ولن تكون الأحوال في كلّ الحالات، كما كانت من قبل أن تتحرّك الصّفائح، وتُخطّ الصّفائح.

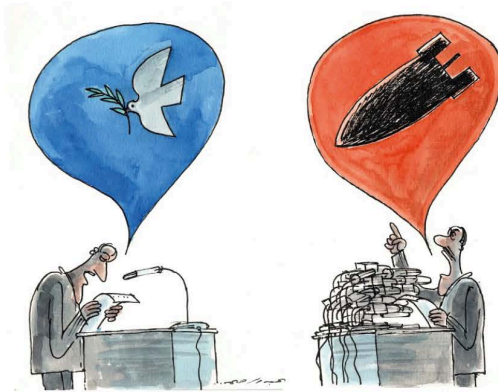
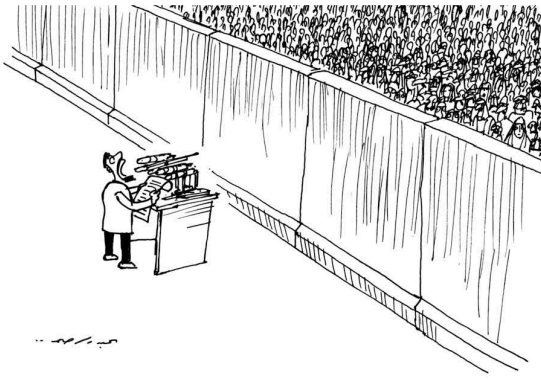
من هذه الصّفائح ما كان يرسمُ على أوراق الجرائد من مثقفي العصر مساهمة منهم في نشر وعي بواقع يزداد فقره وينتشر إملأفه، رغم أنابيب نفطه التي تمتدّ على أجسادنا فتحرّقها، وتُدفعي الآخر «حبيب الظلام عدوّ الحياة» على حدّ عبارة بلقاسم الشّابي في "أغاني الحياة".

ساهم الفنّان عبد الرّحيم ياسر بحسه الفنّي المرهف ووعيه النّقابي الحديد¹² في نشر نقده اللّاذع على أعمدة الصّفيح¹³ داخل العراق، وخارجه منذ عام 1970: في لبنان بدار الآداب، وفي الأردن بدار المنهل... إنّ هذا الحسّ الفنّي لم يكن -فقط- وليد دراسته الأكاديمية بمعهد الفنون الجميلة ببغداد (تحصّل منه على دبلوم سنة 1975)، أو كليّة الفنون الجميلة ببغداد (نال البكالوريوس عام 1980)، وإنّما هو أيضاً وليد تهلّبه من تراث بلاد الرّافدين، وحضارات عظيمة مرّت عليها وخزّنتها ذاكرة العراقيّ أو قُلّ بقيت مترسّبة في لاوعيه. ولعلّ من أشهر هذه المدارس في لاوعي المبدع مدرسة "الواسطي" صاحبة التّراث الضّخم من رسوم المخطوطات (مثل كتاب كليلية ودمنة ومقامات الحريري) بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي. وامتازت مدرسة بغداد الواسطية بأسلوبها البسيط والعميق¹⁴.

12 - عبد الرّحيم ياسر هو عضو نقابة الفنّانين العراقيّين، ونقابة الصحفيّين العراقيّين والاتحاد العام للصحفيّين العرب واللجنة الوطنيّة للفنون التشكيلية.
13 - من أهمّ المجلّات الكاريكاتورية التي عرفها العراق مجلة "المتفرّج" لصاحبا مجيب حسّون، و"الفكاهة" لأستاذ الرّسم حميد الحل.
14 - عفيفي بهنسي، جماليّة الفن العربي، سلسلة عالم المعرفة، فيفري 1979، انظر خاصّة الصفحات 52-58. لأن كانت البساطة في عمقها سمة مدرسة الواسطي التي نجد لها صدّي في بساطة رسوم عبد الرّحيم ياسر، فإنّ المقارفة والإضحاك نجد جذورهما غائرة في عمق بلاد الرّافدين في ما يُعرف بأدب السخرية.



ونذكر نموذجين لبیان المفارقات والإضحاك رسماً كاريكاتورياً بالكلمات. [الفأر والتمس: طارد التمس مرة فأراً فأراد الفأر أن يختفي منه فدخل غار حبة. ولما ألقى نفسه إزاء هذا الخطر الجديد ارتجّ عليه فقال للحبة: "أرسلني إليك الحواوي، مع التحيّات".]، [التعلب والبحر: بال تلعّب مرة في البحر، فنظرت إلى البحر وقال متعجباً متباهياً: "أكل هذا البحر من بولي؟"]
طه باقر، مقدّمة في أدب العراق القديم، دار الحرّيّة للطباعة، العراق 1976، ص: 181 - 182.



أثر هذا التّراث البابلي التّالّد، والإسلامي التّليد في أهل الإبداع عموماً وخاصّة منهم أهل الإبداع المعاصرين، شعراً وروايةً ومسرحاً ونحتاً. وقد عاصر هؤلاء المؤسسون والمبدعون أنظمةً سياسيةً مختلفة، وعايشوا حروباً مدمرة، وانقلابات سياسيةً مرعبة... فذهبت الأنظمة وبقي الفنّ. وليس أدلّ على ذلك صمود جدارية جواد سليم، أو ما يُعرف بـ"نصب الحرية" في ميدان التحرير ببغداد (1961/1960). فهل يخضع الفنّ إلى السّلطة ويأتمر بأوامرها، أو هو نفسه سلّطة تتجاوز كلّ السّلطات؟ ولا تخضع إلاّ لنواميس خالقها الأوّل المبدع، وربّما إلى خالقها الثاني المتلقّي.

إنّ عبد الرّحيم ياسر هو ابن هذه البيّنة المعطاء مدّ ألواح الطين بخطوطها أو رموزها المسماوية، إلى المنحوتات الآشورية والبابلية التي مازلت ماثلة بيننا إلى اليوم في دميّ طينية، وبعض هذه المنحوتات تقصّ المضاجع¹⁵ وتهبّ الحيرة ولا تعطيك اليقين. ولم يكن عبد الرّحيم ياسر وجيله ليقطع مع المؤثرات الأوروبية. لقد أحبّ رسوم عصر النهضة عموماً، واستوففته رسوم "ديلاكروا"، وألقفته رسوم "سوتين"... ومئات الرّسامين التّشكيليين الذين كانوا مصدرّاً لثقافته البصريّة¹⁶. وتأدّر أيضاً بواقع العراق الحاضر، وقد حاصرتّه غوغاء "الغرابيب السّود" و"الجراد الأسود". ومن هذا السّواد يولد تمّوز رسماً كاريكاتورياً من أجل بعث الأمل والحياة بمحاورة الواقع وكشف حوّره في سخرية مرّة، ونقد لاذع وضحك كأنه البكاء¹⁷.

2. السياسة أو عصاة الخارج:

المتأمّل في رسوم هذا الفنّان يراها تدعوه إلى القراءة والبحث. يخطّ المبدع ما يخطّ، وما على المتقبّل إلاّ أن يجهد نفسه من أجل قراءة ما يمكن قراءته، لا يُعينه الرّسام عبد الرّحيم ياسر ببعض التّعليقات ولا يأخذ بيده من أجل فهم معين وكأنه صرطٌ مستقيمة لا خروج عنها، إنّه يحترم ذكاء هذا القارئ ولا يستقلّ به، ولا يهزأ بقدراته العقلية. لا يريده تلميذاً يلقن. بل يريده متقبلاً يشاركه محنة الخلق ومخاض الإبداع تأويلاً لا تفسيراً، والأهمّ سؤالاً يولد تسالماً بعيداً عن الصرط المستقيمة والأجوبة الجاهزة. فالرّسم الكاريكاتوري عند هذا الفنّان «لغة مختلفة، ووجب على الرّسام أن ينحاز إلى الرّسم» لا أن يشعبه بالتعليق. ومن الطّبيعي أن يكون الفنّان حاذقاً لفنّ الرّسم حذقاً جيداً فالرّسم -عند عبد الرّحيم- رئيس ليكون الإنسان فنّاناً كاريكاتورياً.

17 - يُضاف إلى هذه المؤثرات العراقة القديمة والمعاصرة مؤثرات المدرسة البلجيكية ومدارس أوروبا الشرقية، يقول عبد الرّحيم ياسر «لقد اطلعنا [يعني نفسه ومؤيد نعمته ورائد الرّأي] على من سبقونا من الرّسامين وتأثرنا بهم، لكن انفتاحنا على الخارج، خصوصاً المدرسة البلجيكية، ورسامي أوروبا الشرقية وغيرهم...» من حوار للشاعر مع صفاء ذياب، نشر بالقدس العربي في 20 أبريل 2015. (<http://www.alqueds.co.uk/?p=329066>).

15 - انظر تمثيلاً لا حصراً النقش السّومري الذي يحكي قصة آدم مع حواء والأفعى الموسومة والشجرة المثمرة قبل تدوين التّوراة بألفي عام ضمن العديد من الكتب منها: لفظ عشائر لفراس سواح، سومر للنراسات والنشر، الطبعة: 2، 1996، ص: 115.

16 - بغداد الثقافية العدد 694، السّنة 13 الأربعة 14 كانون الثاني 2004. (حوار مع الرّسام أجرته معه سوسن الجزراوي).



إنَّ رسائلِ رسومِ عبدِ الرحيمِ ياسرِ وما تحمله من فكر، بسيطة في ظاهرها، سهلة المنال من النظرة الأولى. يفهمها الغرَّ وكأنها بعض حكايات كليلة ودمنة المثليَّة. لكنَّك إذا لعنت عجلة القراءة، وأعدت النظر انقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير، يدعوك الرِّسم إلى إعادة القراءة والنَّظر لتشكيل وعي جديد في علاقة الإنسان بمحيطه السِّياسي والاجتماعي والثقافي، وطنياً وإقليمياً وعالمياً، ومن ثمَّ يحضر البعد الإنساني والكوني.

أمَّا باطن هذه الرِّسوم وجوهرها فهي من المضمون به على غير أهله من الكيسين، أولئك الذين يتركون قشرة الجوزة بعد معالجتها في تأنُّ وصبر، للانتفاع بلبها لذَّة ومنفعة ودرسا.

الجزء المهمُّ من رسوم الكاريكاتير في علاقة بالسياسة. وهل تتركنا السياسة حتَّى وإن حاولنا تركها؟ من تجليات السياسة العالميَّة هيئة الأمم المتَّحدة وريثة "عصبة" الأمم. لقد أصبحنا -كما بيَّن الرِّسم- فُرجة يتسلَّى بإحنها الآخرون. نحن نغرق ولا من معين، بل ولا أحد يهتمُّ. إن حضرنا بأجسادنا في هذه "العصبة/ الهيئة" فنحن غائبون. وإذا غبنا عن طاولتهم، فنحن حاضرون لأنَّ في ذلك مصلحة لهم. العالم الذي نحن فيه تلاطمت أمواجه ولكننا لا نحسن السباحة، نحن في قلب الدائرة نحوم كبغل الطحان، ولا أمل في شاطئ. عبثوا بنا أم عبثنا بأنفسنا؟ أليست الدائرة تذكيراً بالعبث، وبسيزيف الأسطورة؟ هذا الماء لا يَبقي ولا يذر، هو رمز الموت والطوفان الذي أخذنا في غفلة ولم ننتبه. سكرنا إلى أن تَعْتَعنا السكر رياءً وتديباً، وانشغلنا بحلاوة الدُّنيا إلى حدِّ الرِّبُوخ، ومن حولنا الأقوام تعمل، وتخطِّط لعشرات العقود القادمة، وقد صحَّ فينا قول رائد المُبصرين أبي العلاء المعرِّي¹⁸:

وما نفيق من السكر المحيط بنا

* إلا إذا قيل هذا الموتُ قد جاءَ وعَيْنًا -نحن العرب- دائماً متأخِّر، لأننا متأخِّرون بل متخلفون. ومازلنا منشغلين بحلاوة العسل رغم أنَّ التَّين بقي فارغاً فاه ينتظر، ولا يملِّ الانتظار. يبدو أنَّ هذا الماء في الرِّسم الكاريكاتوري، وكأنَّه مسبح/بحرٌ مسجور «وَأَذَا الْبِحَارُ سَجِرَتْ» {81 التكوير 6/} أي ملئت ناراً على ما يقول مفسرو النصِّ القرآني. هل من الغريب عند ذلك أن يكون حول هذا الحوض ثمانية عشر، ويد إنسان يغرق هو تكلمة لتسعة عشر!!



18 - أبو العلاء المعرِّي، لزوم ما لا يلزم، المجلد الأول، ص: 61.



أَتَوَرَّ هذا وقد فاض ماء؟ أم هو تَوَرُّ وقد اتَّقد
سَعيراً؟! الأُمُّ المتَّحدهُ وَمَا أَذْرَاكَ مَا "الأُمُّ"، شبيهُة
بَسَقَر * وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَر * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَر * لَوَاحَةٌ
لِلْبَشَرِ * عَلَيَّهَا تِسْعَةٌ عَشْرَ {74المُدتر27/28/29/30}

3. السياسة أو عصابة الداخل

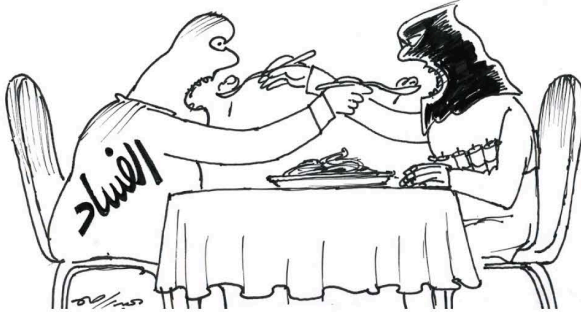
من عصابة الخارج: "الأُمُّ المتَّحدهُ"، إلى عصابة
الذَّاخل الفاسدين أو "المفسدين في الوطن".
وهل يمكن أن يكون الرِّسْم الكاريكاتوري من
غير أن يفضح مظاهر الفساد في البلاد العربيَّة؟
لقد عاش عبد الرِّحيم ياسر حياته في بغداد ولم يغادرها إلا
لفترة قصيرة، رغم أهوال الحروب التي عاشتها العراق. هذا
العراق الذي يسبح على خزانات من التَّفط ذهبت أموالها
أدراج الرِّياح، وازداد ذهابها بعد أن جاءت أمريكا بالديمقراطيَّة
قسراً محمَّلةً على دباباتها وصواريخها، فزرعت حريَّة لا
ككلِّ الحرِّيَّات، ونشرت عدلاً وثقافة حقوقيَّة لا ككلِّ العدل
والثقافات. أينعت هذه "الديمقراطيَّة المسلَّحة" فيما أينعت
حركة أصوليَّة اتَّخذت من "الدَّولة" اسماً وهي لا تؤمن بالدَّولة
ومؤسساتها، ونعتت نفسها بـ"التَّنظيم"، وهي بعيدة عن
كلِّ تنظيم مؤسَّساتي لقيامها على الولاء والطَّاعة و"التَّوحُّش"
عاش عبد الرِّحيم ياسر هذا الوضع المؤلم وشاهد بحسه
الثَّاقب وبعقله النافذ فساداً يأتي على كلِّ منجزات
العراق. والأسوأ أن هذا الفساد وخاصَّة السِّياسي منه،
قد اتَّحد مع الإرهاب اتَّحاداً عبَّرت عنه بعض اللُّوحات
فكَّرت الرِّسالة نفسها بوضوح، إذ تضمَّنت هذه اللُّوحات
كلمة "الفساد" على عكس ما هو معروف على هذا
الرِّسام أنَّه لا يُعلِّق على رسومه، ولا يكتب عليها شيئاً
يظهر الفساد في هذا الرِّسْم، في جلسة حميميَّة مع
الإرهاب وقد تأنَّسنا. اختلى أحدهما بالآخر فكُونا خليَّة
بعيدة عن الأنظار. اسودَّ وجه الإرهابي، بل قل اسودَّ
رأسه، بلَّه عقله، واتَّخذ من القنابل حزاماً له، استعداداً
لفعل "الشَّهادة" تقرباً إلى الله بقرايين آدميَّة يقتلها إرباً
إرباً، وكلَّما ازدادت القرايين عدداً، عظم الأجر ويكون
السَّعي مشكوراً. أليس هؤلاء "الغرابيب السُّود" قد اتَّخذوا
الجهاد ركناً من أركان الإسلام؟ كالصلاة والصُّوم لأنَّه
في عقيدتهم «مَثَل المُجاهد في سبيل الله كمثل الصَّائم
القائم الدائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتَّى يرجع».



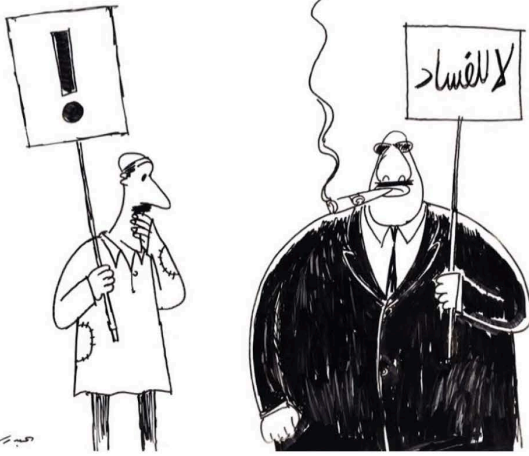
19 - مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الجهاد، الجزء الثاني، ص: 432، الفقرة 1615،
الحديث 432، والفقرة 1678 الحديث 451، ص: 658.

ومستنديين أيضاً إلى أن «رسول الله قال: تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يُخرجهُ من بيته إلا الجهادُ في سبيله، وتصديق كلماته، أن يدخله الجنة، أو يردّه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجرٍ، أو غنيمة». ويقول²⁰ في شأن الشهداء في سبيل الله «لا مثلٌ للقتل في سبيل الله» غريب شأن هذا الرّسم الكاريكاتيري، هل يرصد لحظة آنية نعايشها، أم هو ينكأ جراح ثقافة لخصتها «آية السيف» عند الفقهاء. وغريبة ثقافة هؤلاء، وهم أدوات تنفيذ لثقافة القتل التي نشرها فقهاء يطلقون عليهم الأمة، والسلف الصالح، وعلماء الإسلام، وحبّة الإسلام... لقد أصبح الإرهاب يُعاش الفساد الذي يرفضه الله. لكن فهمهم غير الفهم، بل إن الفساد ممثلاً في الثراء غير المشروع أصبح أصحابه على ما يُظهر الرّسم متكرّشين بلا رقبة. فاسدٌ يطعم إرهابيين، وإرهابيين يطعم فاسدًا، لقمة بلقمة، وتكشيراً على الثوب بتكشير، على طاولة فخمة كثر طعامها وغاب -ظاهرياً- شربها. جوهر ثقافة الموت والفساد في الأرض حتى أن شيخهم الأكبر يدعو صراحة إلى أن يزق هذا هذا، زق الطير لفرأخها، وعليهم شرعاً ودينياً أن يتحدوا مع المفسدين وإن كانوا قطعاً طرق من اللصوص المرتزقة، نعم من اللصوص المرتزقة!.

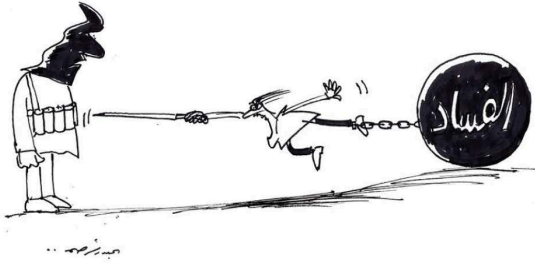
يتعجب صاحب العقل الحصيف من ممارسات المفسدين إرهابيين وقطاع طرق. ولكن العجب ينقش حين نعلم أن زواج هؤلاء منطقي، بل قل هو زواج حلال. لأن التقتيل الذي يمارسه هؤلاء يمارس باسم الشرع. وأن خلفيّة هؤلاء الفكرية موصولة بشيخهم شيخ الإسلام ابن تيمية وقد أباح لهم في كتابه «مجموع الفتاوى»، التقتيل والتقطيع... ومن بعد ذلك التكبير، حين أفتى أن «الجهاد واجبٌ على المسلمين عموماً... ولكن وجوبه على المرتزقة الذين يُعطون مال الفيء لأجل الجهاد أوكد، بل هو واجب عليهم عيناً، واجب بالشرع، وواجب بالعقد الذي دخلوا فيه، لما عقدوا مع ولاة الأمر عقد الطاعة في الجهاد... فإنّ "المرتزقة" ضمنوا للمسلمين بالارتزاق [أي بما نالوه من مال الفيء] الدفوع [أي الدفاع] عنهم، فاطمأن الناس إلى ذلك... وظلم المقاتلة بترك الجهاد عن المسلمين من أعظم ظلم يكون، فعقوبته على ترك الجهاد وذمه على ذلك أعظم بكثير من ذمه وعقوبته على شرب الخمر وفعل الفاحشة... وفي مثل هذا قال الرسول (ص): "إنّ الله يؤيّد هذا الدّين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم"²¹. صدق الواقع، ونعم بالواقع صدقاً!.



20 - أحمد بن حنبل، مسند الإمام، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 2008، الجزء الخامس ص: 430، الحديث عدد 12891.
21 - تقي الدين أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، الطبعة الأولى 1997 المجلد الثامن والعشرون، ص: 105.

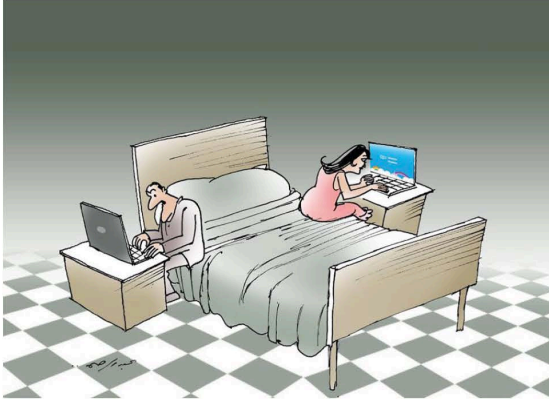


مفارقة كبرى في هذا الرّسم الكاريكاتوري: الفاسد الباحث عن المال والثّراء يعمل لدنياه الماديّة وكأنّه يعيش أبداً. والإرهابيّ الباحث عن الشّهادة يعمل لآخريته كأنّه ينفجر غداً. فلسفة "التكامل" بين الطّرفين في أوضح تجلّيّاتها! والغريب في أهل الفساد أنّهم هم أنفسهم من يدعون محاربة الفساد ومحاربة الإرهاب. أمّا محاربتهم للفساد فإنّ مظهرهم يكشف عورتهم ونفاقهم، وقد اتّخذ الرّسام عبد الرّحيم ياسر من تقنية التّضخيم في الجسد، وسيلة لإيضاح الفكرة، ومن اللّون الأسود سمناً لإبراز الدّلالة. المواطن الفقير يرتق الثّوب ويرتق الرّتق، و"المواطن" الفاسد يتدبّر بلباس الغرب ورباطة عنقهم، ونظاراتهم الشّمسيّة، ويدخن "سيجارهم". كلّ ظاهرٍ فيه مستورٌ. أمّا باطنه أخلاقاً وعقلاً، فيظهر في ما يمارسه من فساد وإفساد بعيداً عن منطق العقل والحدّاتة جوهر الغرب الذي أخذ عنه كسوته وسيجاره ونظاراته. والغريب أنّ أهل الفساد الذين يتظاهرون بمحاربتهم تجدهم في الصّفّ الأوّل كما هو في الرّسم، ممّا وُلد تعجّب الفقير. أمّا محاربة الفساد للإرهاب فجلب في هذا الرّسم الكاريكاتوري. جعجعة ولا طحن، هياط ومياط وسيف مسلول ولا طعن. كلّ من يريد مقاومة الإرهاب يكون قرماً أمامه. يقف الإرهاب ثابتاً لا يخشى ضرراً من أحد. مادام الفساد قويّاً يشدّ كلّ من يريد مقاومة الإرهاب. الفساد قويّ والإرهاب قويّ أيضاً وفي المقابل من يريد المقاومة ضعيف، بل هو مشدود إلى الفساد لا يتحرّك إلاّ في الحدود التي يسمح له بها. كلّنا في الفساد سواء. لأنّ هذا الفاسد في الرّسم لا نعرف له اسماً ولا موطناً ولا جهة... من الموظّف البسيط إلى رجل الأعمال، من المرطبيّ الذي يبيع الوهم في دروس تدارك للأطفال، إلى السّياسي الذي أكثر من الوعود وهو أوّل من يعرف عجزه عن تحقيقها. أصبح الفساد في بلدي بألوان مختلفة، وبطعوم متباينة، وبأشكال متعدّدة، ومراتب يتفنّن بعضهم فيها، حتّى أصبح الفساد "فلسفة" حياة يتباهى بها بعضهم: أنا فاسدٌ إذن أنا موجود! فهل هذه الرّسوم تحكي فساداً مادّياً نعيشه ونعايشه، أم هي سؤال حول ثقافة أصبحت غذاء نقتاته. سألته الإنسان. كلّ شيء قابل للبيع والشّراء: الأرض والعرض، الدّين والعلم... الثقافة الحديثة في بلدي ثقافة السّرقة: سرقة المال، والخلم، والأخلاق، والعقل...



4. ربيع يتلوه ربيع :

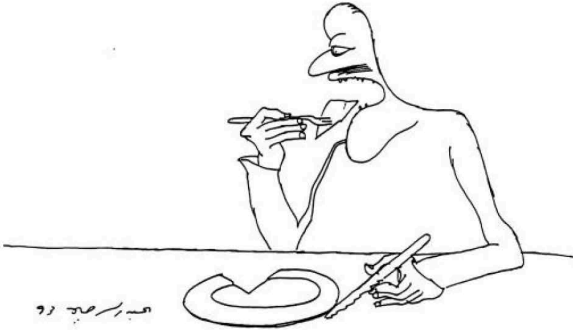
من مظاهر الطَّرَافَة في رسوم عبد الرّحيم ياسر ما له علاقة بما سمي "الربيع العربي". وهو ربيعان: الأول دخلناه منذ عقود قليلة فَاسْرَنَا، والثاني أَدْخَلْتَاه في بداية العشريّة الثانية من هذا القرن فَفَقْتَلْنَا. أمّا الرّبيع الأوّل فهو ثورة التّكنولوجيا الرّقميّة ولم نأخذ منها إلّا البهرج حتّى أصبحنا مدمنين عليها، نتتبّع آخر صيحاتها ولا نبتكر، ففسدت علاقاتنا، وقوَّضنا ما قال به ابن خلدون ومن قبله أرسطو: إنّ الإنسان اجتماعي. كلّ واحد بآلته في فلك يسبح. هو موجود ولكنه مفقود، حاضرٌ ولكنه غائب وليس له كرامات المتصوِّف ليحضر ويغيب في الوقت نفسه. هو الغريب عن أهلٍ من لحم ودم. وهو الغريب من حبيبٍ جديد من لدائن ومعدن. عقولٌ تركت الكتاب الورقي فأصبحت أفرغ من جيب الخارج من زواج. وقلوب فارغة كأنّها أعجاز نخل خاوية. غاب التّواصل بفعل أدوات التّواصل! فلا كلام. وغابت القراءة فلا عقل، وانفتحت الحميميّة فلا قلب ولا معاشرَة. هل نحن أناس؟ لقد فقد الفرد ممّا ما يكون به الإنسان إنساناً: "اللّوغوس": [القلب/ العقل، اللّغة]. عمّ يتساءل هذا الرّسم؟ هل هو نقدٌ لتعاملنا مع التّكنولوجيا الحديثة أو هو يعيد علينا سؤال الوجود؟ ماذا نحن؟ وليس من نحن. وأمّا الرّبيع الثاني فتورة تكنولوجيا بدائيّة (عربة بائع بعجلتين!) لم يبع قاذحٌ شرابها ماذا فعل بنفسه. ولم يبع العربيّ الذي فقد القراءة (العقل)، وابتعد عن القلب (العاطفة)، وغاب عن الاجتماعيّة (اللّغة) ماذا حلّ به. زرع ربيعاً فلم يثمر إلا وردة وحيدة، لأنّ الغرس لا يستقيم إلا في تربة خصبة أصيلة وطبيعيّة ترفض الحصر في وعاء "بلاستيكي مصنوع" ربّما يكون من صنع الغرب، ورغم ذلك اختطفت هذه الوردَة اختطافاً في غفلةٍ ممّا، لأننا لا نقرأ، ولا نتواصل، ولا نتعظ. أخذها من لم يشارك في زرعها، بل من هو في الأصل لا يؤمن بها لأنّ الخروج على السّلطان -وإن كان ظالماً- كفرٌ! لكن هذا من بعض نفاقهم وتلك مسألة أخرى. أخذ صاحب اللّحية الطّويلة، المحفوف الشّارب،²² بل قطف، بلة قلّع الوردَة عنوةً، ثمّ أدار ظهره لمن كدّ وجدّ، هازئاً باسمًا. يرى ذلك حقًا من حقوقه، بل يؤمن في جرمٍ أنّ ذلك غنيمة من غناهم. فمتى نقرأ؟



22 - تعبير اللّحية -عند العرب- إذا لم يهتم صاحبها بتسويتها، على الحزن أو الغيظ أو المرض أو تضعف الحال، ومن عادة العرب أيضاً في الجاهلية تخفيف الشارب. انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية 1993، نشر جامعة بغداد، ص: 610 وما بعدها. ويقول المتنبي في لغة الحكماء رابط حف الشارب بالجهل: الديوان المجلد 2، ج 4، ص: 281، شرح البرقوقى: أغايّة الذين أنّ تحفوا شواريكم ** يا أمّه صحتك من جليلها الأمم.

5. من الخصوصية إلى الكونية :

إن حصر هذه الرسوم في بعد سياسي ضيق كالعلاقة بالأمم المتحدة، أو بالثورات (الرقمية والعربية) التي زلزلت البلاد العربية ومازالت ستزلزل لأن صفاتها مازالت متحركة، لا يستقيم كثيراً. لأن الفن الحق وإن انطلق من خصوصية محلية فهو يرنو إلى الكونية ويعانق الإنسانية. ورسوم عبد الرحيم ياسر الكاريكاتورية هي كذلك - في ما نرى - تقتنص اللحظة الحاضرة: الآن وهنا (الفساد، الرشوة، الانتخابات، الثقافة...) في عفوية وبداهة، صنعته وكلفاً، لا تصنعاً وتكلفاً. حياكة لا حكاية. ولكنها تعرج بنا إلى ملكوت آخر، هو ملكوت الإنسان مهما كان لونه أو عرقه أو دينه... إن رسوم هذا الفنان تدعوك إلى الحفر في ذاكرتك وفي مخزونك الثقافي والنفسي وتقلب الصورة المرئية في الرسم، إلى صورة ذهنية في العقل. توثقك هذه الصور / الرسوم، وتبعثك على التفكير في قضايا الإنسان القديمة والمتجددة، مثل التفاوت الاجتماعي وقد ولد فلسفة ألهمت ومازالت تلهم الشعوب في صراعات طبقية لم تنته، وولدت ديانات رأسمالها الوعد بالمساواة بين البشر هم سواسية كأسنان الحمار! لا يخلو مجتمع إنساني من النضال من أجل العدل والمساواة، ولا أظن أن إنساناً يعرف حقيقة ثروات إفريقيا وبلاد الإسلام ولا يتساءل في عجب عن انتشار الفقر والجوع... في هذه البلاد التي قيل في أمتها خير أمة أخرجت للناس!! وأنه لا يحق لمسلم أن يطمئن لإسلامه وبجانبه مسلم يتضور جوعاً. ليس الجوع الذي يعيشه العرب، والعطش القادمون عليه في هذا القرن إلا صورة لما يعيشه الإنسان في أرجاء المعمورة إن قصدياً المبدع من رسمه ربما لا تكون قصدياً المتلقي في قراءته. لذلك نصر على هذا البعد الإنساني في رسوم عبد الرحيم ياسر من حيث أراد أو لم يرد. وعند ذلك تتحد القصديتان في قيم تتجاوز الزمان والمكان.



ياسر عبد الرحيم



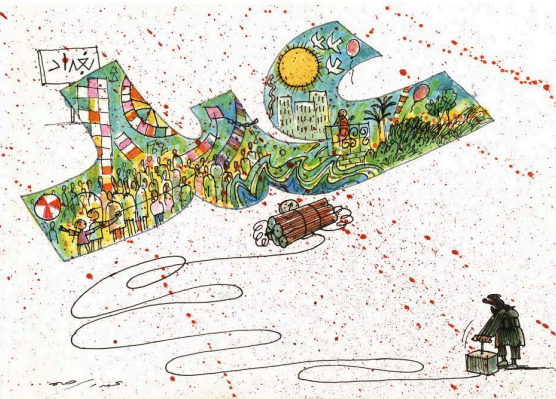
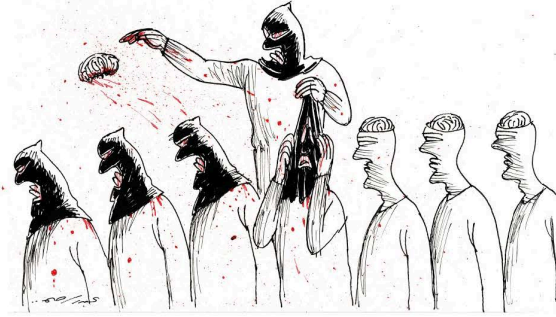
23 - هذا البعد الإنساني في موضوعات رسومه، إلى جانب حذق الصنعة كانا في ما نرى - وراء حصول عبد الرحيم ياسر على جوائز عالمية، ولذلك اختاره نقاد مجلة "الأبزريرفر" البريطانية ضمن عشرة فنانين في مهرجان فينيسيا الدولي لعام 2013.



أليست عالميّة الأمم المتّحدة، وخاصة في مجلس أمنها "الموقر"، إنّما هي عالميّة مزعومة؟ واحد كالف وألف كآف. العدل من جديد، لكنّ هذه المرّة ليس الجوع قاده، بل الجور الذي عمّ البسيطة وأغرقتنا في دماء ليس بين الأعداء فقط، بل أيضاً بين الإخوة الأشقاء، لذلك حلّت الأمم المتّحدة محلّ الغراب شوّماً أحياناً، وحكمة حيناً آخر. قايين (قاييل) مازال بيننا لم يمّت ولن يموت، لقد عرفنا بل ورثنا كيف نفتعل الحروب فأفسدنا الأرض وجعلناها بياباً، وسفكنا الدماء وجعلناها أنهاراً. ومازلنا لم نعرف بعد كيف نصنع السّلم. نأمل أنّ هذه الأمم المتّحدة وقد استدار أعضاؤها حول طاولة القرار، بدأت تعي مشكلة إنسانيّة قادمة في منتصف هذا القرن وقد لاحت ملامحها أنّا جميعاً سنغرق، ليس في برك الدماء فهذا واقع موجود لا ينكره إلاّ أحمق، بل في برك "تسونامي" الذي سيغرق بلداناً على الحقيقة لا على المجاز. قريباً سنغرق فعلاً إذا تواصل هذا المدّ الطوفاني على مدن المعمورة السّاحليّة. وعند ذلك لن يكون عليها أو حولها لا ثمانية عشر، ولا تسعة عشر، بل كلّ من عليها فان. أمّا الكونيّة في الرّسم ذي العلاقة بآلات الاتّصال الرّقمي فتطرح مسألة إنسانيّة ربّما يخجل بعضهم أن يتكلّم في شأنها وهي إنسانيّة الإنسان في هذا القرن وقادم العقود. هذه الرّقمنة الذي جعلتنا نعيش الإدمان صباحاً مساءً ويوم الأحد، لم تعد شيئاً محمولاً باليد (هاتفاً مثلاً) أو شيئاً نتأبطه نتأبط الكتاب (Tablette لوحة رقميّة). أصبحت جزءاً منّا، في داخلنا، مزروعة تحت الجلد في أحجام مجهريّة. أصبحت شيئاً مبيثوثاً أو قلّ مزروعاً في الجسد لتعديل نبضات القلب مثلاً، أو لتعويضه واستبداله، أو لتمكين هذا الإنسان من ترجمة نبراته أو حركة حاجبيه وعينيه إلى رسائل مفهومّة... فهذه الرّقمنة الموجودة داخل جسدنا هل تبقى جسدًا، أو هو جسد وتقنيّة رقميّة؟

25 - في ذهننا عالم الفيزياء البريطاني Stephen William Hawking (08 جانفي 1942*14 مارس 2018) هذا الاندماج بين جسد "ستيفن" والرّقمنة هل يبقى على مصطلح الإنسان فيه. أو نحن ساترون إلى نوع جديد من الكائنات بعدد لم نجد لها المصطلح المناسب! يذكر أنّ هذا العالم أعلن في نوفمبر 2017 أنّ الذكاء الاصطناعي "ربّما" ينتهي بنا إلى "شكل جديد من الحياة". "ربّما" اليوم، يقين الغدا.

24 - من أوجه المفارقة الكاريكاتوريّة المضحكة المبكية، والدّاعية إلى إعمال العقل في جزء من ثقافتنا أنّ قصّة قاييل وهابيل، مثبتة في الأساطير الآشوريّة تحت اسم الرّاعي (دوموزي) والفلاح (أنكيمدو). انظر: ديوان الأساطير، سومر وآكاد وأشور، نقله إلى العربيّة قاسم شواف، قدّم له وعلّق عليه أدونيس، الكتاب الأول: أناشيد الحبّ السومريّة، دار الساقي، 1996.

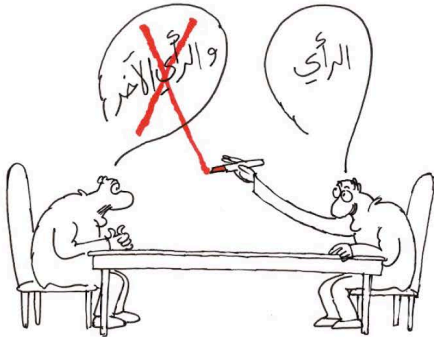
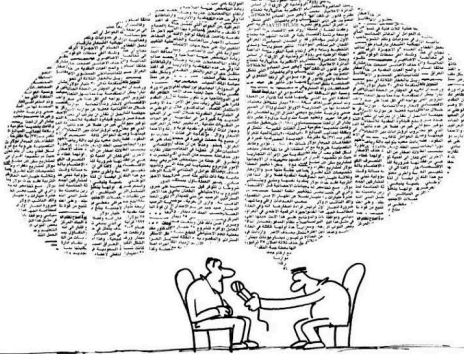


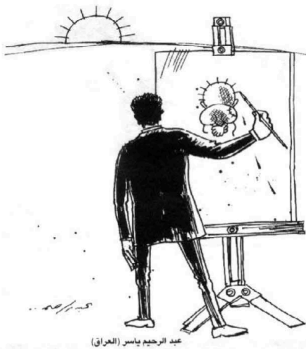
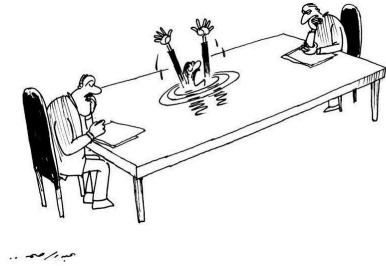
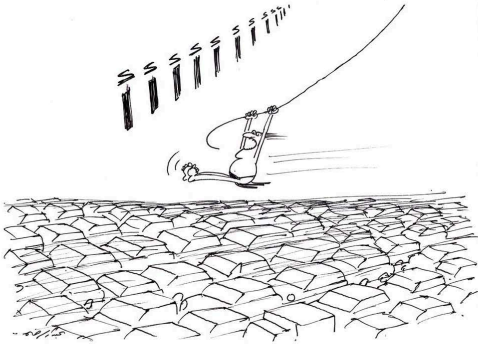
وعند ذلك علينا أن ننحت مفردة أخرى نعبر بها عن هذا الخليط. وهذه الرقمنة التي تحافظ على الإنسان وقد فقد وعيه في غرفة الإنعاش، هل ذاك الممدود على فراش وقد تشابكت حوله الخيوط والآلات، والخراطيم بألوانها المختلفة وأحجامها المتباينة... هو فعلاً إنسان أو هو جسد؟ أو جثة؟ أو جسم؟ هل هو شيء؟. هو كل هذا وليس هذا. جثة هامدة لا تتكلم ولا تتحرك ولا تشعر... مرهونة في قرار من الطبيب بالضغط على زر أو برمجة آلة رقمية، أو نزع خرطوم التنفس الاصطناعي... لئنهي عمر ذاك الذي كنا نسميه يوماً "الإنسان" وقد حارت البرية فيه على حد قول المعري. النقطة التالية الموصولة بـ"الربيع العربي" تبسط قضية إنسانية تتجاوز العرب إلى الكونية. وهي مسألة الحداثة. هل الحداثة سيارة نركبها وكمبيوتر نستعمله... أو هي إلى ذلك منهج حياة يستند إلى العقل الذي أبدع السيارة والكمبيوتر. الحداثة قَطَع مع القديم في التفكير، ونحن ماذا نفعل بالكمبيوتر وما هي الرّسائل التي نبعث بها إلى أصدقائنا، لعلها إحياء للقديم (تهنئة، أدعية، تكفير للأخر، كلام بذيء...). والحداثة قطع مع الأمية ويبدو أنّ أميتنا لا تقاس بغيرنا. نحن أمة {أقرأ} لا نقرأ. وإذا قرأنا لا ننقد، وإذا نقدنا لا نسأل. فقراءتنا اجترار لا بحث فيها ولا سؤال. نحن نحسن فك الحروف، ولكننا نعيش أمية ثقافية تجاوزت المتعلمين منا -للأسف- إلى بعض النخب. وأجل لو ذكرتُ بما قاله هشام جعيط معلماً على بعض معارف الأكاديميين. والحداثة تجعل من العقل إماماً ووسيلة للبحث ونسبته في النتائج بعيداً عن الدغمائية. فماذا فعلنا بالثورة الرقمية؟. والحداثة ثورة على اللاهوت وإذا بالفضائيات اللاهوتية "جراد" يأتي على الأخضر واليابس. الحداثة في الأخير عقلنة تحارب جهلنة. وهل يمكن محاربة الجهل من غير ثقافة ناقدة، ثقافة الحوار والجلوس إلى الآخر. لا ثقافة شحن الأدمغة أو نزعها من الرؤوس؟

تبنّي الأعمال الفنيّة على المفارقة. وفي رسوم الفنّان عبد الرّحيم ياسر مفارقة كبرى يبحث عنها في محيطه السّياسي والثقافي والاجتماعي... وينبش عنها في ذاكرته التّفسيّة والمعرفيّة... ويقدم إليك من الرّسائل ما لا يُنتظر، ويفاجئك بالفكرة من حيث لا تحسب، فالمبدع يريد شيئاً ما من رسمه، وإذا بالقارئ يقرأ أشياء، ممّا يؤكّد أنّ الرّسم الفنّي ذلول ذو وجوه، بل لنقل إنّ قراءته تختلف من متلقٍ إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى ومن عصر إلى عصر، وإذا كان «فنّ الكاريكاتير هو فنّ اكتشاف المفارقة» على حدّ عبارة عبد الرّحيم ياسر، فإنّه كلّما اهتممنا بالمفارقة في الرّسم، كان المعنى أكثر إثارةً لتلقّاه العيون والعقول بوجهات نظر مختلفة، وفي الاختلاف دعوة إلى الحوار وما الكاريكاتير إلا مدرسة للحوار. تحدّث المفارقة في الرّسم بإضافات بسيطة إليه، ولكنّها إضافات تعطي للفكرة جلاءً ووضوحاً، المثلّ على ذلك إذا رسمنا مدينة ومن فوقها صاروخ قريباً سقوطه على المدينة ومَن فيها. فهذا رسمٌ عاديّ. لكننا إذا أضفنا إلى الرّسم شخصين يركضان نحو المدينة ويحملان نقالة إسعاف (Brancard) فإنّ الأمر عند ذلك يختلف لأنّني أعطيت للمدينة فكرةً آخر ساخرًا نافذاً. وهكذا يكون نصّ المبدع رسماً ومسرحاً وشعراً... حيّاً ويقظاناً، نصّاً منفتحاً يرفض الانغلاق، ويرنو إلى الانفتاح على الكوني والإنساني. وأخطأ من يرى في الرّسوم على أعمدة الصّحف السّيارة أنّها للاستهلاك اليومي. إنّ الصّحف الجيّدة - وما أقلّها في عالمنا العربي - صحف محكّمة وما يُنشر فيها يتجاوز النّشر السّياري ليكون راسخاً صالحاً لتأويلات شتى. إذن رسوم عبد الرّحيم ياسر هي رسوم حمّالة أوجه إذا تأملتها. يقرؤها الغرّ فيفهمها في الدّرجة الصّفر من التّأويل فيضحك. ويتأمّلها الكئيس فتدعوه إلى السّؤال والبحث في واقعه، فيتألّم. ورسوم هذا الفنّان هي رسوم الفكرة «الكاريكاتير هو فنّ تشكيلي ساخر يحمل فكرةً، محورها الإنسان ابن هذه الأرض، مهما كان زمانه أو مكانه. الإنسان أوّلاً وأخيراً. منه أخذت الرّسوم وقُدّت، وبه عبّرت ودلّت، وله نقدت وعرّت. هي رسوم بسيطة بساطة الخطوط فيها، معقّدة في أسئلتها. ياسر "ياسر" برسومه الكاريكاتوريّة ذوي العقول، ولم يكن "رحيماً" بهم في أسئلته المحرقة. من قلق سؤال الوجود كانت الرّسوم. وهل إنسان حقيقيّ من غير سؤال فلسفيّ؟ أليست هذه الرّسوم إذا أضحكنا دلّت على سفاهتنا.

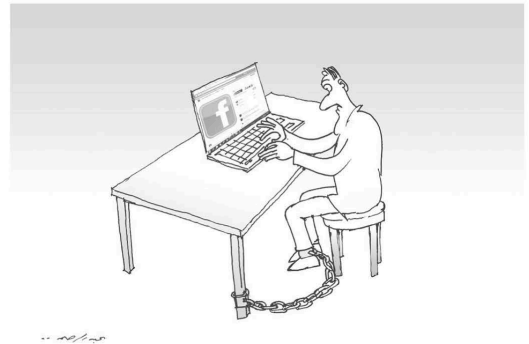
جلال الربيعي

26 - السفه، في لسان العرب لابن منظور: نقيض الحلم. وهو أيضاً الطيش، والجهل، وغبن الرأي. انظر مادة (س.ف.ه).





عبد الرحيم ياسر (العراق)



...

الفنان عبد الرحيم ياسر في المعهد العالي للفنون و الحرف بصفاقس

بالتعاون مع المعهد العالي للفنون
و الحرف بصفاقس نظمت مدرسة
الكاريكاتير يوم 14 مارس 2018 معرضا
لرسوم فنان الكاريكاتير العراقي
عبد الرحيم ياسر و معرضا لرسوم
تلاميذ مدرسة الكاريكاتير في رواق
المعهد العالي للفنون و الحرف
بصفاقس.



تكريم الفنان عبد الرحيم ياسر في المعهد الثانوي (الخليج)

والمعهد
للمندوبه المندوبه المندوبه
منصور الخليل سدي منصور

تحت إشراف المندوبية الجهوية للتربية بصفاقس 2
يختص معهد الخليج بالشراكة مع مدرسة الكاريكاتير بصفاقس

معرض الكاريكاتور

يؤثته الفنان العراقي
عبد الرحيم ياسر

بمعية تلاميذ نادي الخليج التشكيلي وتلاميذ مدرسة الكاريكاتير

تحت عنوان

بصمة كاريكاتورية بأنامل تشكيلية

وذلك يوم الجمعة 16 مارس 2018
بداية من الساعة العاشرة صباحا
بقضاء معهد الخليج طريق سدي منصور
حضوركم بيشرفنا

تم تنظيم حفل تكريم كبير يوم الجمعة 16 مارس 2018 على شرف الفنان العراقي عبد الرحيم ياسر في المعهد الثانوي (الخليج) بطريق سيدي منصور بصفاقس تم اثناءه عرض رسوم كاريكاتير الفنان و رسوم تلاميذ المعهد التي انجزت خصيصا لهذه المناسبة. و رسوم تلاميذ مدرسة الكاريكاتير تخلله عرض لعدد من الأنشطة مثل الموسيقى و التمثيل و التعبير الجسماني و عرض ازياء تقليدية و قد حضر الحفل المشرفون على مدرسة الكاريكاتير بصفاقس و إدارات المندوبية الجهوية للتربية بصفاقس 2.





في نهاية الحفل دوّن فنان الكاريكاتير الكبير عبد الرحيم ياسر
 كلمة في السجل الذهبي بالمعهد معبرا خلالها عن ارتياحه
 لما شاهده من وعي و رقي و حب للثقافة من طرف الشعب
 التونسي كما عبر عن امتنانه الكبير لحفاوة الاستقبال من
 التلاميذ و الإطارات التربوية و الأولياء.



الفنان عبد الرحيم ياسر في نادي الكاريكاتير بدار الشباب بحبي المعز



أشرف رسام الكاريكاتير العراقي الكبير عبد الرحيم ياسر على تنشيط ورشة كاريكاتير في دار الشباب بحبي المعز بمساهمة الكاتب الساخر عبد الرزاق كمون يومي 18 و 19 مارس 2018.



كما تم بالمناسبة تنظيم معرض رسوم للفنان العراقي عبد الرحيم ياسر ومعرض رسوم كاريكاتير تلاميذ نادي الكاريكاتير بدار الشباب بحبي المعز.



الفنان عبد الرحيم ياسر في نادي الكاريكاتير بدار الشباب بالعامرة

أشرف رسام الكاريكاتير العراقي الكبير عبد الرحيم ياسر على تنشيط ورشة كاريكاتير في دار الشباب بالعامرة بمساهمة الكاتب الساخر عبد الرزاق كموون يومي 20 و 21 مارس 2018.

كما تم بالمناسبة تنظيم معرض رسوم للفنان العراقي عبد الرحيم ياسر و معرض رسوم كاريكاتير تلاميذ نادي الكاريكاتير بدار الشباب بالعامرة .





الفنان عبد الرحيم ياسر في نادي الكاريكاتير بدار الشباب بعقارب

أشرف رسام الكاريكاتير العراقي الكبير عبد الرحيم ياسر على تنشيط ورشة كاريكاتير في دار الشباب بعقارب بمساهمة الكاتب الساخر عبد الرزاق كمون يومي 22 و 23 مارس 2018. كما تم بالمناسبة تنظيم معرض رسوم للفنان العراقي عبد الرحيم ياسر و معرض رسوم كاريكاتير لتلاميذ نادي الكاريكاتير بدار الشباب بعقارب.





الفنان العراقي عبد الرحيم ياسر في اختتام فعاليات زيارته الى مدرسة الكاريكاتير

نظم يوم السبت 24 مارس 2018 بمقر النيابة الجهوية لاتحاد المرأة التونسية بصفاقس حفل اختتام معارض و ورشات الكاريكاتير التي نشطها رسام الكاريكاتير العراقي الكبير عبد الرحيم ياسر وقد تم أثناء هذا الحفل الذي حضره السيد مبروك المعشاي مدير إذاعة صفاقس بصفتة شريكا في مشروع مدرسة الكاريكاتير . و الفنان العراقي عبد الرحيم ياسر و الكاتب الساخر عبد الرزاق كمون و مديري دور الشباب بعقارب و العمارة و أساتذة ومسيري المدرسة و الأستاذ جلال الربيعي و أغلب تلاميذ المدرسة و ثلة من الضيوف.

وزعت أثناء الحفل شهادات مشاركة على التلاميذ و شهادات شكر لكل من ساهم في إنجاح هذه الدورة التكوينية و جوائز على أصحاب أفضل الرسوم في مسابقتي (بورتبه العربي الصبان) و (الماء).





مدرسة الكاريكاتير بصفاقس

العنوان البريدي: صندوق بريد 547 - صفاقس - 3018 الجمهورية التونسية
الهاتف : 0021622292292 - 0021655260953
البريد الالكتروني : ecole.caricature@gmail.com
صفحة الفايسبوك : مدرسة الكاريكاتير
الموقع الالكتروني: www.ecole-caricature.com



